أغصان الزيتون

قصة قصيرة

منى مراد

جميع حقوق النشر الإلكتروني محفوظة للكاتب

ودار **أدباء 2000** للنشر الإلكتروني

قصة قصيرة / أغصان الزيتون

للكاتبة / منى مرا

تصميم الغلاف / عمرو الطناني

تصحيح لغوي / مدحت رأفت

الإصدار الأول / مارس 2016

دار **أدباء 2000** للنشر الإلكتروني

الموقع الخاص بالدار

http://entashaaer.wix.com/odabaa2000

المدونة الخاصة بالدار ومجلة أدباء 2000على البلوجر

http://odabaa2000.blogspot.com.eg

الصفحة الخاصة بالدار على الفيس بوك

/https://www.facebook.com/Odabaa2000

الجروب الخاص بالدار على الفيس بوك

https://www.facebook.com/groups/1686790618200616/

التواصل مع الكاتبة

https://www.facebook.com/profile.php?id=100009565343997

الأهداء

اهداء لمن

علمني خطّ الحروف و نسجها الى معلمي الاول

وقدوتي ابي الغالي

بوالودنين مراد ٨٨

وقف في الجانب المظلم من الرصيف ،وافترش حبات ليمون ذهبية...

غسان شاب في مقتبل العمر ، وئد الطفولة مذ عانق اليتم حيات ، وها هو ذا يتحمل أعباء هذه الحياة ومسئولية أخته الصغيرة ، التي تركها والداه أمانة في رقبته... يسترزق غسان من بيع حبات الليمون في أروقة القدس الكئيبة ... تلك الأروقة التي تخلد أمجاد من رحلوا ... وتساند أرواح من بقوا ... في الأيام القلائل الماضية التقى غسان بصديق طفولته ورفيق دربه .... الذي فرقه عنه القدر لثلاثة أعوام .... لقد تذكر غسان تلك الأيام التي أمضاها برفقة صديقه رامي .... تذكر كيف كانا يركضان حافيي الأقدام في الحقول والبساتين ... وكيف كانا يتسابقان ... إلى أن ينال منهما التعب فيرتميان بجسديهما المنهكين بأحضان عشب البساتين الدامع ... تذكر غسان كل تلك الذكريات الجميلة ، فعانق رفيقه بحرقة ، أما رامي فلم يتمالك نفسه وشرع في البكاء ، وما هي إلا هنيهات حتى مسح رامي عبرات الشوق ، ولكن لسان غسان قاطعه بأن أرسل لأذن هذا الأخير ، كلمات عتاب ولوم ، فابتسم رامي وقال :

- لو علمت يا رفيق سبب غيابي ما لُمتني !!

انتاب قلب غسان فضول كبير ، فأخذ يستفسر عن هذا السبب الذي سيكون الحجة الدامغة لينجو بهآ صديقه من عقاب لا منفذ منه ؟! ، تبادل الرفيقان أطراف الحديث الذي ملأته ضحكات كانت قد هجرت ثغريهما لمدة طويلة ، وخلال هذا الحديث أعلم رامي صديقه أنه انضم لصفوف المقاومة الفلسطينية ، لم يصدق غسان ما سمعته أذناه ، وابتسم ابتسامة عريضة ، ثم أخبر رفيقه برغبته الجامحة في الالتحاق بهم ، فعانقه رامي وقال :

- أهلا بك يا رفيق ، إخوتي في الكفاح بحاجة إلى شهم مثلك وسيرحب الجميع بك ولكن .....

وصمت لوهلة ، فقطع غسان هذا الصمت قائلا :

- لكن ماذا ؟!!!! ، يا رفيقي لا تقلق فإني مدرك لحقيقة الصعاب التي تواجهكم ، ولست أأبى غير أن أكون معكم ، والله لو أدري أن دمي لتحرر شبرا واحدا من هذه الأرض الطاهرة ما بخلت قط ....

ابتسم رامي وأدرك أن رفيقه مصمم ، كيف لا وقد رأى تلك النظرة بعينيه! ، فاتفقا على أن يرحلا يوم الأحد القادم عقب صلاة الفجر مباشرة .....

مرت الأيام وفي اليوم السابق للذهاب إلى حيث قرر ، ذهب غسان إلى بيت جده وقال :

- أريد أن أستودعك رؤى لأني ذاهب للدراسة

ابتسم الجد ابتسامة عريضة فقد علم ما يدور ببال حفيده ، فعيناه تفضحانه ، فغسان لا يجيد الكذب ، وقف الجد متكئا على عصاه وربت على كتف غسان وقال :

- لا تخف ، وقلها يا ولدي قلها وافخر ففلسطين فخورة بكم ، أنتم أملها يا بني فافخر ، ليت أيام الشباب تعود ، كنت حملت بندقيتي كما فعلت سابقا واقتلعت رؤوس البغي ، ولكنت ساعدتكم .....

ثم قبل رأس حفيده وقال :

- يحق لفلسطين أن تفتخر بكم ، بارك الله فيكم ، وانطلق يا ولدي فأختك في كنفي .....

هكذا ودع غسان جده ، على صوت صراخ أخته التي لم تفارقه مذ ولدت ، وأخذ بكاء رؤى يتلاشى مع كل خطوة يخطوها باتجاه ما أسماه بقدره ،وهكذا التحق غسان بصفوف المقاومة ومرت الأيام والشهور القاسية ،ولكن غسان تحمل ، وها هو ذا يتعلم الرماية ويقتنص رؤوس شياطين في هيئة بشر ، من قال أن تلك اليد التي لطالما ربتت ومسحت دموع رؤى ستحمل المسدس يوما ؟!! ، وستقتل أشباه البشر ... لك الحق أن تفخري برجال كهؤلاء لك الحق يا فلسطين قلبي ، لك الحق أن تفخري بقلوب تحمل من الرقة ما يعادلها من الجأش ، لا تخشي حلكة الليل ،ما دام أمثال غسان يحرسونك يا زهرة المدائن

****

في الجانب الأخر كانت رؤى تزور بيتهم المهجور كل يوم ، وتحمل أزهار النرجس بيديها البريئتين ، لتقدمها إلى أخيها الذي لا تزال ترقبه ، تعود رؤى إلى بيت جدها في كل مساء ، وتلقي نفسها في أحضانه وتبكي بحرقة وتقول :

- لم يأتي غسان اليوم أيضا

فيربت جدها على كتفها ويمنيها برؤيته في اليوم التالي ، فتنظر رؤى إلى السماء بدموعها ، وتبتسم على أمل لقاء أخيها في اليوم التالي ... لم تتعب رؤى قط من تكرار هذا السيناريو .... حتى امتلأ بيتهما المهجور بأزهار النرجس الذابلة ، فالصغيرة تترك لأخيها أزهار النرجس ، ظنا منها أنه سيأتي في الليل ، وتواصل رؤى تكرار أيامها بنفس الطريقة ولا تمل أبدا

****

غسان اشتاق كثيرا لسماع ضحكة أخته ، ولم يخف هذا الأمر عن رامي ، فسارع رامي بإخبار العم قاسم عن رغبة رفيقه في زيارة أهله ، لكن العم قاسم رفض الأمر ، لما فيه من خطورة ، خاصة وأن غسان قد أصبح مطلوبا لدى سلطات الاحتلال ،لكن غسان لم يكترث وأجاب قائلا :

- أسف يا عماه ، لكني صممت ،لقد راودني بالأمس حلم سيء عن أختي ، ويجب أن أطمئن عليها

رأي العم قاسم في عيني غسان ذلك البريق الذي عهد رؤيته كل مرة يقومون فيها بإحدى العمليات ،فقال له :

- أما وقد صممت على الذهاب ، فليس لي أن أمنعك وقد رأيت هذا بعينيك ، فكن حذرا يا ولدي ... وفقك الله ولا تنسى أخذ مسدسك ، فهو جزء منك الآن

تلك الليلة لم يستطع غسان النوم لشدة فرحه ، فراح يطرح تساؤلات عديدة :

- كيف أصبحت ؟! هل لا تزال تذكرني ؟! ربما نسيتني !!

هواجس كثيرة جالت بخلده تلك الليلة ، فلم يستطع إغماض جفنيه ، وفي الصباح الباكر أيقظ رامي قائلا :

- إني ذاهب يا صاح ، وأشعر أنني لن أعود لا أعلم لما ؟!! ، ولكن هذا ما أشعر به

فضحك رامي وقال لصديقه :

- ما بك يا رجل ، أتنوي تركنا أم ماذا ؟!! ، هيا كنت شجاعا ، ألا تريد الشهادة ؟!!

ابتسم غسان وأردف :

- ما بك يا صاح كنت أمازحك لا أكثر .

فعانقا بعضهما البعض ، وافترقا على أمل اللقاء ، ها هو غسان يشد الخطى نحو بيته ، والفرح يعتري قلبه ، والشوق يدفعه ، وفجأة يتعالى صوت رفيقه رامي قائلا :

- غسان انتظر لحظة .... وبأنفاس متقطعة يردف قائلا : خذ هذا الغصن وازرعه بجانب ليمونتك الوحيدة

وأعطاه غصن زيتون يافع ، ففرح غسان بهدية صديقه شاكرا إياه ، وأنصرف كمن يعدو نحو بيته المهجور ، ولكنه لم يدري ما ينتظره هناك !! ....

****

في الصباح الباكر وككل يوم ، قطفت رؤى أزهار النرجس ، واتجهت نحو بيتهم تغمرها سعادة عارمة ، وككل مرة دخلت رؤى ولم تجد أخاها ، ولكنها شعرت أن اليوم ليس كباقي الأيام فجلست مترقبة ، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، فقد داهم جنود الاحتلال المكان ، وأخذوا يكسرون الأثاث ، ويدوسون أزهار النرجس بأقدامهم القذرة ، وتعالى نباحهم قائلين :

- أين أخوك المجرم ؟!!

ورؤى ترتعد لتلك الأصوات المدوية ، وفجأة صاح قائدهم :

- أقتلوها .... ففي الأخير ، كم أراق أخوها دماء جنودنا ، فهي لا تساوي شيئا أمام عظمة من قتلهم أخوها ، وليست هذه إلا حشرة ، دوسوها ولا ترحموها ، فليتألم قليلا

بتلك الكلمات المفجعة ، أعطى قائد الشياطين الأمر بقتل هذا الملاك الطاهر ، أما غسان فأخيرا قد تراءى بيته ، فابتسم ابتسامة عريضة ، ولكنها لم تدم طويلا ، فقد اختطفها صوت طلق ناري قادم من بيته ، أحس بغصة في قلبه ،حينما سمع ذلك الصوت المدوي ، فأسرع إلى هناك ، لكن بمنظر تتقطع له أصلب الأفئدة ، كانت رؤى تتخبط في دمائها ، أجل لم يرحموا براءتها ، لم يرحموا عمرها ، ما إن رأى غسان ذلك حتى لم يتمالك نفسه ، وهوى بجوار أخته يحملها بين يديه المرتجفتين ،أخذت دموعه تروي وجهها البريء، كما كانت تروي هي أزهار النرجس يوميا ، رفعت رؤى يدها الطاهرة بما تبقى لها من قوة ، ومسحت دموع أخيها وقالت بوهن :

- أخي لم تبكي ؟!! ، اشتقت لك كثيرا فأين كنت ؟!!! ، لا تبكي يا أخي

ثم أمسكت تلك الزهرة التي ظلت بيدها وأردفت :

- تفضل يا أخي ، أحببت أن ترى الزهور التي زرعتها من أجلك ، أرجوك لا تتركني مجددا وخذني معك

على هذه الكلمات وبين يدي أخوها الذي يحتضنها ويبك بحرقة ، ضاما إياها إلى صدره حتى لا يكاد يفرق بينهما أحد ، لفظت أنفاسها الأخيرة ، ورحلت عن هذه الحياة التي لم ترحمهما ، وهنا أطلق غسان العنان لصياحه ، وفك الأسر عن عبراته ، وراح يبكي أخته بحرقة ، واستمر على هذا الحال ما يقارب الساعة ، لكن قاطعه صوت غريب ، قادم من إحدى زوايا البستان ، فأدرك أن الكلاب لا تزال تنتظره ، فوقف ومسح دموعه ، وابتسم بحرقة ، وغيظ ، ثم اعتلت وجهه عزيمة لا مثيل لها ، فقبل جبين أخته وهمس لها :

- لن نفترق بعد اليوم

وأستل غسان مسدسه ، وبقلب مشرب بحب الشهادة ، ارتمى على أعدائه غير مبال بالرصاصات التي تخترق جسده ، راح يطلق رصاصات متمردة ، أردت قائدهم قتيلا ، فتشتت القطيع

وانصرفوا كالحشرات الجبانة ، فسقط غسان على الأرض التي ارتوت بدمائه الزكية ، فشعر براحة كبيرة وأردف قائلا :

- اعذرني يا رامي ، لن أستطيع إكمال الدرب معك ، أسف يا صاح ، فلقد سبقتك للشهادة فلا تطل الغياب !!

ثم انتبه لغصن الزيتون الذي بجواره ، فاستجمع ما تبقى من قوته ، واتجه بخطى متثاقلة نحو شجرة الليمون ، وقبلها قائلا :

- لم أنس أنك كنت أمنا الحانية يوما ما !! ، لن أنسك يا غاليتي ، ومن اليوم لن تبقي وحيدة ، فقد أحضرت من يواسيك

ثم أخذ يحفر بجانبها ، وغرس غصن الزيتون وأردف قائلا :

- أصمدا ها هنا ، وواسيا أرضي الحزينة وأبكياها ، أصمدا كما يصمد الحجر أصمدا

ثم جثى وقبل الثرى وقال :

- أحبك أرضي

وعلى صدى هذه الكلمات ، ودعت روح غسان جسده المنهك .....

يا بنايا بين الحطام مقبرة* قم نرثي معي كل من فيها**

غسان يا بطلا لم تغوه الدنيا * ودعتنا بالأمس ودعت من فيها**

غسان ليس سوى مثال عن الشاب الفلسطيني الثائر ، المشرب بحب أرضه ، غسان بالنسبة للبعض منا ، ليس سوى قصة نثرت أحرفها هاوية ، وأخذت ترددها الشفاه ، ولكنه بالنسبة لأرضه ، أسطورة لا تُنسى ، فلتفخري بأمثاله يا غاليتي

****

تمت بحمد الله